منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء العاشر   فبراير (شباط) ١٩١٣   السنة الثالثة

الجمهورية الفرنساوية

رئاسة ريمون بوانكاره

رجلٌ من الشعب صار ملكاً . لم يصر اليهِ الملك بالإرث عن والديه ، بل صار هو الى الملك بجدّه واستحقاقه . هنيئاً للشعب الذي يفسح المجال لكلّ كفوء ان يكون ملكاً

ولدت فرنسا ملوكاً عظاماً . بل لعلّها ولدت أعظم ملوك التاريخ الحديث . ما كانت قط عاقراً ، ولا دبّ اليها العقم في الزمن الأخير . غير أن تمدّنها كان يمشي حثيثاً الى الكمال مشيةَ أخلاقها الى السموّ ، وعلمها الى الارتقاء . وان يكن قد قام فيها قتلةُ لويس السادس عشر وماري أنطوانت ، فقد قام فيها بعدهم محرّرو الأمم من الرق ، ومطلقو الممالك من قيود الملوك ، ومعلّمو الشعوب حقوق الشعوب

هذه الحكومة التي استهلّت الأمة رئاستها برجل « كتيارس » لم يولد ملكاً ، ولا ورث الملك وراثةً ؛ ثم تنقلت بها من رئيس الى رئيس ،

حتى وضعتها بين يدي « بوانكاره » انما هي النموذج الاول لما سيصير اليه حكم الأمم في المستقبل البعيد

ان شعباً استطاع ان يكون في يومهِ ، مثال جميع الشعوب في غدها ، لهو الشعب الذي يجب على العالم ان ينحني أمامه باحترام



في السابع عشر من شهر يناير (ك ٢) الماضي انعقد المجلس الوطني الفرنساوي في قصر ڤرسايل على مقربةٍ من باريس ، وانتخب مسيو «رَيمون پوانكارِه» رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية ، رئيساً للجمهورية بدلاً من مسيو « ارمان فاليير » الرئيس الحالي الذي تنقضي رئاسته في السابع عشر من هذا الشهر

دستور سنة ١٨٤٨ — كان الدستور الفرنساوي الذي سُنَّ في سنة ١٨٤٨ يقضي بانتخاب رئيس الجمهورية انتخاباً شعبياً محضاً ؛ اي انه كان لكل فرنساوي لم يفقد صفته السياسية ، حق الاشتراك في ذلك الانتخاب . غير أن هذا الشكل الدستوري كان خطراً محيقاً بكيان الجمهورية ؛ فان الرئيس الذي تجمع الأمة على ترئيسه ، او ترئُسهُ عليها باغلبية آرائها ، يتأيد بقوة ذلك الاجماع ، او بدعامة تلك الأغلبية على الأقل ، تأييداً اذا عزَّزه الطمع ، دفعهُ الى قلب الحكومة من شكل الى شكل ، والاستئثار بها لنفسه ، كما فعل في سنة ١٨٥١ لويس نابوليون المعروف بنابوليون الثالث . لذلك قام رجال الجمهورية على قانون سنة١٨٤٨ وأبدلوه بآخر جعل ... ـنخب منتخَبي الامة : نوّابها وشيوخها .

يريدون بهذا إضعافَ تلك القوة المستمدة من الأمة بوضعها اولاً بين أيدي النواب والشيوخ ، ثم بتدرّجها من هؤلاء الى الرئيس . قالوا : وان في تدرّج القوة من الاصل الى الفرع ، ثم الى فرع آخر ، تجزئةً لها ، وان في هذه التجزئة ، على هذا النمط ، اتقاءً للخطر المشار اليهِ ؛ فالرئيس الذي يجمع عليهِ النواب والشيوخ أضعف شوكةً ، وأقل صولةً من الرئيس الذي تجمع عليهِ الأمة على بكرة أبيها

المجلس الوطني — يُطلق اسم المجلس الوطني ، او الجمعية الوطنية ، على مجلسَي الشيوخ والنواب ، متى اجتمعا معاً ، في قصر فرسايل ، لانتخاب رئيس الجمهورية . وينعقد هذا المجلس بأمرٍ سامٍ يصدره رئيس الجمهورية قبل انقضاء رئاسته بشهرٍ على الأقلّ . فان لم يفعل ، لأمرٍ ما ، انعقد المجلس لنفسه قبل انتهاء تلك المدة بخمسة عشر يوماً . على انه اذا خلا منصب الرئاسة ، قبل الأجل المقرر ، وذلك اما بموت الرئيس ، وإما باعتزاله ، وإما بخلعه بعد الحكم عليه ، وجب انعقاد المجلس الوطني على الأثر ، بدعوة من رئيس مجلس الشيوخ ، لانتخاب رئيس جديد . والرئيس المنتخَب حينئذ انما ينتخب الى سبع سنوات جديدة وليس لتكملة السبع التي لم تتمّ . ويرئس هذا المجلس في جميع الأحوال ، الرئيس الأول لمجلس الشيوخ ؛ فيقصر العمل على الانتخاب وحده ، وتحظر المناقشة والجدَل

طريقة الانتخاب — كل فرنساويّ ، متمتع بحقوقه السياسية ، يصحّ أن يكون رئيساً للجمهورية . ولكنّ المجلس الوطني لم ينتخب الى اليوم غير مَن كان من اعضائه . اما الانتخاب فالى سبع سنواتٍ ،

وبالاكثرية المطلقة، على طريقة الاقتراع السريّ. ويجوز تجديد رئاسة الرئيس وتكرارها، وإن يكن لم تجدّد لأحد من الرؤساء السابقين؛

مرتب الرئيس — ليس لرئيس الجمهورية مرتّب معين يتقاضاه كموظف في الحكومة. فان النظام الذي وضع في سنة ١٨٧٥، ولم يزل معمولاً به الى يومنا الحاضر، أغفل هذا الأمر تاركاً لمجلسي الأمة تقريره سنوياً في ميزانية نظارة المالية. وقد جعلته هذه في العهد الأخير مليوناً ومئتي ألف فرنك: خصّت الوظيفة منها بستمائة ألف فرنك، وعينت لنفقات القصر ثلاثمائه ألف، وتركت الثلاثمائة الألف الأخرى لنفقات الأسفار والاحتفالات

حقوق الرئاسة — اذا كانت الجمهورية في فرنسا قد قامت على اكتاف رجال الثورة، فلأن تلك الاكتاف كان قد أرهقها استبداد الحكم المطلق، وناء بها حمل الحاكم الفرد. واذا كان الدستور الفرنساوي قد جرّد رئاسة الجمهورية من معظم حقوق الملكية، فلأن الدستور يقضي أنّى كان، بأن تكون الأمة حاكمة نفسها بنفسها بكل معنى الحكم. لذلك كانت السلطة المخوّلة لرئيس الجمهورية ضيقةً، محدّدةً، تكاد تخلو من كل مسئولية، ولذلك ايضاً ما اهتمّ لاحراز هذا المقام العالي — بعد تيارس وقبل بوانكاره — أحد الساسة النابغين

كل ما لرئيس الجمهورية من الحقوق لا يتعدى حقاً تشريعياً محصوراً في قليل من السلطة على مجلسَي الامة، ويسير من التدخل في سنِّ القوانين، واشتراع الشرائع؛ وحقاً آخر تنفيذياً مقيداً بقيود

ضيقة الحلقات يتحمل مجلس النظار كل مسئوليةٍ فيه

الحق التشريعي — أناط الدستور برئيس الجمهورية حق إشغال مجلسَي الأمة ؛ فهو يجمعهما للعمل او يؤخر اجتماعهما الى أجل . وهو يحل مجلس النوّاب اذا وافقهُ على حله مجلس الشيوخ . غير ان الرئيس لا يستخدم هذا الحق، حسب مطامعه وأهوائه ، ولكن في أحوال معينة نصَّ عليها القانون ؛ كأن يتعذر ، على جملة وزارات متعاقبة ، تسييرُ الأعمال ، والقيام بالواجبات ، لاصرار مجلس النواب على المشاكسة في أمرٍ ما ، واستمراره على رأيٍ رآه ، لأول مرة ، في ذلك الأمر ثم لم يتحول عنه . حينئذٍ يقرر الشيوخ وجوب فضّ المجلس فيعمل الرئيس بذلك القرار

وللرئيس ان يشترك بالرأي مع وزرائه في التشريع ، وان يحمل مجلس الأمة على اعادة البحث ، واطالة النظر في كل قانون طرحتهُ الوزارة في المجلس على بساط الجدل والبحث . وعلى مجلس الأمة ان يفعل بمشيئة الرئيس

الحق التنفيذي — يشمل هذا الحق الأمور التالية :

١ً ان يتوّجَ الرئيس باسمه جميع القوانين ، ويراقب تنفيذها

٢ً ان يسامح وان يعفو

٣ً ان يستأثر بقيادة الجيش

٤ً ان يعيّن في الوظائف المدنية والعسكرية

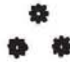
٥ً ان يرئس المجتمعات الوطنية

٦ً ان يمثل الأمة في علاقاتها السياسية الخارجية

أعطيَ الرئيس حق المسامحة والعفو معاً ، ولكنّ الدستور أطلقه في الأول وقيده في الثاني اذ جعله ميسوراً له فقط بموجب قانون يصدّقه مجلسا الأمة ، لأن العفو في عرف السياسة غيرُ المسامحة . هذه لا تمحو الجرم الأصلي بل تمحو جزءاً من عقابه ، أو عقابه كله ، وذاك يلغي الجريمة نفسها كأنه لم تكن جريمة فلم يكن عقاب

وخُوّل الرئيس قيادة الجيش العليا بمعنى أنه رئيس الحكومة الأكبر. غير ان هذا الحق لفظي لا فعلي . فالدستور الذي جعل الرئيس غير مسئول لدى الأمة ، وضع كل مسئولية في اعماله على وزرائه . فمن الصعب جداً ان يعمل الرئيس بهذا الحق ويحمل ناظر الحربية المسئولية عنه . بل الأصعب أيضاً ان يضع مجلس النواب ثقته في ناظرٍ يأخذ على نفسه تبعة هذا الأمر

مسئولية الرئيس — ليس رئيس الجمهورية بمسئول لدى مجلس الأمة بل المسئول عنهُ في جميع أعماله انما هو رئيس الوزارة ، ومجلس الوزراء . غير إن الدستور الفرنساوي قال بوجوب محاكمة الرئيس اذا ارتكب «الخيانة الكبرى» ؛ ولكنهُ لم يفسر هاتين اللفظتين بل ذكرهما مجرَّدتين . ثم اعطى مجلسَ النواب حق الاتهام ، ومجلسَ الشيوخ حق الحكم . ونصَّ بوجوب تطبيق هذه القواعد نفسها في جرائم الرئيس المدنية كما في جرائمه السياسية



ريمون بوانكاره — وُلد في « بارلدوك » من أعمال فرنسا سنة ١٨٦٠

فهو اليوم في الثانية والخمسين من عمره . أما حياته فهي سلسلة جدّ ونشاط، وأما تقدّمهُ فهو تقدم السائر في مراحل الترقي بالسرعة التي يمشي بها كبار الرجال ، فكانت كل درجة من درجات الارتقاء التي وطئها قذّافةً بهِ الى درجة أعلى حتى لقد أصبح في كهولتهِ في أعلى القمم التي يمكن ان يحلم بالصعود اليها انسان : في الثانية والعشرين من عمره كان سكرتيراً لمؤتمر المحامين ؛ وفي السادسة والعشرين ، عضواً في مجلس النوّاب ؛ وفي الثالثة والثلاثين وزيراً للمعارف ؛ وفي السابعة والأربعين عضواً في مجلس نقابة المحامين ؛ وفي الثامنة والأربعين عضواً في الأكاديمي ؛ وفي الحادية والخمسين رئيساً لمجلس النظار ؛ وفي الثانية والخمسين رئيساً للجمهورية .

هذا هو ملخص حياته المجيدة ، وتقدمهِ المدهش . ولا تكون مثل هذه الحياة الأ لرجلٍ نابغة متفرّد بصفاتهِ . وأهمّ تلك الصفات ارادة شديدة ، وفكر نيِّر ، وثبات في العمل ، وميل عن الأوهام الى الحقائق ، وحكمٌ صائب ، وشعور دقيق . وقد زانتهُ الطبيعة بصفات قلما اتفق اجتماعها في نفس واحدة فبينا تراه كاتباً بليغاً اذا بك تراه عالماً مدققاً ، وبينا تقرأه فيلسوفاً مفكراً ، اذا بك تجده شغفاً بالفنون الجميلة ، وبينا تسمعهُ خطيباً تهتز له أعواد المنابر ، اذا بك تراه هادئاً ساكن الجأش .

قال الأب « مرشال » أستاذه الأول وقد اتصل به صدى خطبه الرنانة :

« لو كنت أعلم ان بوانكاره سيستعمل لسانه بمثل هذه الزلاقة ما كنت عاقبتهُ مراراً على الثرثرة في خلال الدروس »

هذا وأما انتخابه لرئاسة الجمهورية فقد كان له أعظم وقع في فرنسا

خصوصاً وفي العالم كله عموماً . واستقبلتهُ الجرائد على اختلاف نزعاتها ولغاتها بكلمات الاجلال والاحترام . قالت جريدة التيمس عنهُ : «ان فوزه يعدُّ فوزاً لمبادىء الجمهورية العاقلة المعتدلة » . وقالت الدايلي مايل : « لم يرئس الجمهورية الفرنساوية بعد «تيارس» رجل ذو تفوُّق حقيقي ، ومحاط باحترام عام مثل پوانكاره » . وقالت عنهُ غازتة المانيا الشمالية : « ان لهُ الفضل الأعظم في حفظ السلم في أوروبا ابَّان الأزمة البلقانية »

اقتراح على شعرائنا — لم تترك صحف اوروبا شيئاً الاَّ ذكرته عن الرئيس الجديد . فامامنا الآن اول مقالةٍ نشرها في الجرائد ، واول مرافعة له في المحاكم ، ومأثورات جمة عن صباه وجميع أطوار حياته . ومما قرأناه له أبيات شعرية نظمها يوم انتقل من حضن الحياة العائلية الى ميدان العمل والجهاد . وهذه هي ترجمة تلك الابيات لعلَّ بين شعرائنا من يسبكها في قالب النظم . قال بعنوان « الفراق الاول »

«ان الذي أتأسف عليهِ هنا ليس الصفاء ولا الراحة المضرَّة . ونفسي القلقة ما كانت لتتكدر من أجل دواعي الافراح والملذات التي أُغادرها

ان الذي أتأسف عليهِ هو نارٌ مدفئة في الشتاء ، وسماء صافية في الصيف

ان الذي أتأسف عليهِ هو أخٌ وصديقٌ ووالدٌ محبوب . هو أمٌّ ساهرة ابداً على ولدها

انقضت الايام الجميلة . فالذي أتأسف عليه — ويا له من أسف لا يجدي — لن يرجع ابداً . . ! »

حرفة الأدب

« للشيخ أبي السامي مصطفى صادق الرافعي »

لا أريد من معنى هذه الحرفة ما يتجوز به المتكلمون من إملاق أهل الأدب وسوء أثر الزمان عليهم كسوء أثره على بعض الكتب القديمة .. ولا ما يترسلون به من جفاء الأديب واطراحه دون منزلته وتقديره بما ليس من كفايته ، وذهابهم الى أن الأقدار ما برحت تنصرف بسعادته الى غيره ، وبشقاء غيره اليه ، كأنه في لغة الأقدار باب من الطرد والعكس . . . ولا ما يتمثلونه من قبح مكافأة كل اديب لنفسه ، وجنايته عليها وابتغائه بها المراميَ في كل ما أجرى اليه من قصد ، واستهدف له من غرض ، كأنها غير نفسه أو نفس غيره ، فما إن يزال ينصب ويتهالك فيما يعاني من أمر الادب لا يرفق بها ولا يستجمّ لها ، حتى تسترخيَ جوانبها ، وتتناثر بما فيها من قوة ، فيحتف عليها كل بلاء ، ويمكّن منها لكل قضاء ، وهو يرى أن لا بأس على نفسه من شيء ولو كان الموت ما دام قد استيقن أن لا بأس في لبه

لا أريد ذلك وما اليه مما عسى ان تبلغ به بلاغة القوم في تفضيل هذه الحرفة [1] اذا هم جمعوا أطراف البيان وأخذوا في متاحي القول ؛ وانما أشير الى معنى الحرفة على الحقيقة ، وأريد أن أصف شيئاً من اخلاق جماعة يحترفون من الادب صناعة كسائر المهن ؛ والصناعات التى بها قِوام

(١) استوفى الرافعي تاريخ كلمة حرفة الادب وبيان الاطوار الاجتماعية التى تقلبت عليها في الفصل الاول من المجلد الاول من كتابه تاريخ آداب العرب

العيش لهؤلاء المستأكلين والمتكسبين من السوقة والمرتزقة لا على جهة ما تحتاج اليه الحرفة من نفاق السوق ، وتحرّك الصناعة ، وتوفير الغلّة مما تزكو به الثروة ويستطيل النّماء ، وتتصل أسباب الفائدة ، ولكن على جهة الحاجة اللازمة في كل حرفة الى الأدوات والآلات ، والى التمرّس بالاسباب والوجوه ثم الى نزعة اللؤم التى لا بدّ منها في كثير من أهل الحرف والصناعات عند ما يعرض من اهتضام الحق وبخس المماكسة ؛ وعند تقليب النظر في أحوال الحرفاء وما أفاء الله عليهم من خير وبسط لهم من سعة ؛ وعند اهتمام القلب بكسادٍ إن وقع في الحرفة ، وفوتٍ ان فات من الربح ، وضعف ان أخذ في اطراف العمل ، وصداع ان ضرب في رأس المال ؛ وعند نصب البدن واستفراغ الذّرع وترميق الصبر ؛ فهذا كله وما يكون من بابه ويتصل بأسبابه رأيناه في كثير من أهل الأدب الذين اتخذوا من الأدب حرفة يُعرفون بها دون أن تعرف بهم ، وذهبوا يتجرون فى أخلاقهم على الناس ، ولعل أحدهم أن يكون اسوأ من الحمق ، واذمّ من الحسد ، وأقبح من الجهل ؛ ثم لعله ان يكون مع ذلك أضعف مَن أنت واجد ممن يدّعي الفهم ، ويتنبل بالعلم ويتنفق بالادب ، ولكنه يمضي ممدوداً له في غيّه ، وينطلق منفّساً له في باطله ، ولا يزال قد ملكه السرف ونزت به الضراوة ، وبعث منه التسلط ، حتى يأخذ في كل فنّ من الحمق ، ويضرب في كل ناحية من السخف ، زرايةً على هذا ونفاسة على ذلك وتربصاً بغيرهما . ثم هو في جماع ينزع الى لؤم الحرفة ويتسكع في كل وجه من السفه منتحلاً ما شاء ان ينتحل

من الأسماء يصنع منها المعاذير ، ويستر بها على نفسه فضيحة من الاخلاق كان الرأي ان يتوقاها قبل ان تظهر ، لا ان يحاول سترها وقد ظهرت ؛ فربما زعم انه منتقد أو متصفح أو هو يصلح عيباً أو يبغي مرمة ولا بدّ في هذا ومثل هذا بزعمه من سورة حمق ونزوة غضب ومن كلمة كزجرة المؤدب ، وأخرى كغمزة المثقف ، ونحوها مما يكون انتقاماً ويسمى في مذهبهم انتقاداً ولعناً ، ويسمى في اصطلاحهم طعناً . . . وربما كان الرجل من الحماقة وفساد الاخلاق بحيث يرى سوء الادب أدباً ، والجنف عن الحق الواضح قصداً ، والتنطع فيما يجهل علماً ، وبحيث لا يرى له حجة ظاهرة على أحد الاّ في العناد وركوب الهوى والمخاطرة بالنصفة والمعدلة فمن ثَمَّ لا يرى عليه لأحد حجة ظاهرة ، ولا يرى ان احداً يقوم له في الحجاج او يثبت معهُ في الخصام ، او يرجح بالحق عليه وعلى باطله وهو ما هو ؟ غبي فَدْمٌ الى الجفاء والغلظة والى السجف والغسولة وتراه على ذلك يجمع الى ضعف الرأي قوة العجب والى قلة الصواب كثرة التخطئة والى بطء الفهم سرعة الحكم ويرى كأن الله لم يخلق لأحد من الناس عقلاً الاّ على قياس من رأسه . . . فان أنت جئته بما يعلو عن فهمه ويخرج عن طاقته بادر فقطع فيهِ برأيه وجزم عليهِ بالركاكة والإحالة والإفساد وسوء التعبير . ولِمَ ؟ لانهُ هو لا يفهمه فلا يوجد من يفهمه البتة اذ كان ما زاد عن قياس رأسه لم يكن الى العقل بل الى الجنون . . وان هو أراد ان يتبتّ الرأي في كلام من الكلام ويتعسف في الجزم عليهِ بانهُ محال لا يستقيم ، مفسد لا يصح ، مضطرب لا يتماسك ، زعم

لك بلا حياء انهُ لا يفهم . وعليك أن تكون ذكياً بالوراثة منطيقياً بالفطرة لتنتهي من هذه المقدمة المسلمة . . . الى النتيجة الطبيعية . . . فتقطع بان ما لا يفهمهُ هو لا يُفهم بتةً إذ لا يوجد من يستبطن حقيقته في الجيل كله ما دام علم الهستولوجيا (الانسجة) لا يقيم عليهِ البرهان بان رأسه غير ذلك الرأس الذي نصبهُ الله في أرضهِ مقياساً للعقول . . . !

وبعد فان من لؤم هذه الحرفة ان ترى صاحبها ساقط الحرمة ذمر المرؤة ، زريَّ النفس بذيئاً متعهراً فحّاشاً في هجائه أستغفر الله بل في انتقاده . . يضع لسانه حيث شاء من عِرض أو خلُق أو صيغة لا يبالي في كل ذلك ان يكون صدق وبرّ أو كذب وفجرَ ، بل همهُ ان يكون قد أوجع وأمضّ ، وطبّق المفصل الذي يحزّ فيهِ لا ينكر من ذلك على نفسهِ نكيراً ولا يغير منهُ تغييراً . ولا بدع فاني رأيت أن أحداً من الناس لا يخلو من الفضيلة الاَّ كان فيهِ ما يعتدُّه في رأي نفسهِ فضيلة وان فضيلة اللئيم التي يراها أن لا يخذله لؤمه دون الاستطالة والتمكن ؛ فلو كذب وعقّ وكفر النعمة ، وغمط الحق ، وجاء بكل مخزية ومندية ، ثم كان له أن يستطيل ويغلب ، لقام ذلك عنده مقام الصدق والمبرة والشكر والإقرار والاحسان ، ولكان عند نفسهِ أفضل أهل الفضائل جميعاً ؛ فهو لذلك لا يتورّع عن قول بذيء ولا يتنزه عن فعل دنيء ولا يأبى ان يكون أسخف الناس عند الناس اذا كان من نفسهِ ما عرفت

والغرور نعوذ بالله منه فهو ألأم اللؤم في محترفي الادب خاصة قلما يؤتى أحدهم الاَّ من جهتـه ، ولا يعرض له الشيطان الاَّ من قبِله ؛ وانه

لجنون هؤلاء العقلاء اذا كان لكل امرئ شعبة من الجنون . فلو رأيت ذلك المغرور، وَرِم أنفه ، ان يكون أحد أولى منه بالحق أو أحق بالصوت فلجّ في العناد ، وجنح الى الباطل ، وأصرّ واستكبر استكباراً ! ولو رأيته قد زيّن له الغرور وسوّلت له نفسه الخبيثة أن يهتف بأحد هتفة مشؤمة أو يقوم فيه مقاماً مشهوداً لجعل يفتري الكذب ويصنع الباطل وينقض الحق ويحيل الصدق حتى يصف لك أفضل خلق الله فلا تراه في ألفاظه الاّ غثاً بارداً سمجاً ، وأكرم خلق الله فلا تعرفه الاّ كزّاً لئيماً متوقحاً ، وأعلم خلق الله فلا تصيبه الاّ جاهلاً غبياً فدماً ، وأفصح خلق الله فلا تجده الاّ عياً بكيئاً حصِراً ؛ وهذا لا يزال يجترئ على الله ، ويمثل بخلقه هذا التمثيل ، ويمسخ منهم هذا المسخ حتى لكأن الله إله المخلوقين وهذا المغرور اله الاخلاق ، وكأن لله جلّ شأنه قوة الخلق ولهذا الأحمق في معارضتها قوة الاختلاق

ولو قيل لي إن في أديب من الادباء مائة فضيلة وفيه الغرور ، لما صدّقت أن تكون فيه مع هذه الرذيلة فضيلة ؛ فان الغرور لا يكون الاّ من سوء تقدير المرء لنفسه وتقدير نفسه للناس ، وهما خصلتان لا غاية لهما الاّ تجاوز غاية المدح وغاية الذم ؛ وما أسرف امرء في مدح الاّ كاذباً ولا أفرط في ذمّ الاّ كاذباً ومتى كانت مع الكذب فضيلة ؟ ولولا هذا الغرور ما استنكف المخطئ ان يفيء الى الصواب ، والضال ان يثوب الى الحق والجاهل ان ينزل الى حيث يتعلم ، والناقص ان يخرج الى طلب الكمال من غيره وهذا كله تراه على أهونه وأقله في عوام الناس وطغامهم

وحثالتهم من لا يثبتون على الباطل الاّ بمقدار ما يفهمون الحق ؛ ولكنه على أعظمه وأتمه في هؤلاء الذين يحترفون الأدب لأنهم أهل زلاقة ولَسَن وصنعة من الكلام ، وانما قلوبهم عند النضال في حصون من وراء أفواهم فلا تزال تصرع دون قلوبهم كل حجة ، أو ترد على أعقابها مهزومة أو كالمهزومة وهيهات هيهات ان تصل اليها مطلقة ، أو تنزل فيها ان نزلت الاّ موثقة . وصفة المغرور ان يكون لسانه فوق عقله ، وتكون نفسه تحت لسانه ، فكيف تراه يكون لو تمت له مع هذه الصفة قوة اللسان وسُرعة البديهة وشدّة العارضة واستجابة المعاني وهي أخصّ أدوات حرفة الأدب ؟

على أني يعلم الله ما رأيت كالغرور من هؤلاء الادباء يذم لك الغرور وينتفي منه ويعتده السيئة المجترَحة التي لا تكفّر عنها الحسنة بالغةً ما بلغت ، ثم لا تجده الا أشدّ الناس كلفاً بأن يكون كل ما يؤثر عن المغرورين مسند اليه ، متظاهراً عنه وأن تفشوَ له بذلك فاشية في الألسنة وتذهب عنه القالة في المجالس ليكون مرهوب الجانب ، متقى اللسان ، مخشيّ المعرّة مستعاذاً بالله منه ، وليُعرف أنه لا يضع جانبه لخصم ، ولا يغتمز فيهِ عدوّ غميزة ، وليس أحد معه أبداً الا على خطأ ، وليس هو مع أحد أبداً الا على الصواب ؛ وأنه على ذلك سريع البادرة قبيح الازراء موجع القذع حاصد اللسان ؛ وان من حمل نفسه عليه فقد حملها على التهلكة وأخطرها لما لا يملك له دفعاً دفعاً ، وطلب بها ما انّ المعجزة كلها في أيسره ؛ وان من أخلد اليهِ وشدّ بهِ يده والتمس مناصرته ، فذلك

الذي يضرع كل عدو الى أمانه ، ويخرُّ كل قلم ساجداً يطلب المغفرة من لسانه . الى صفات أخرى من أمثال هذه لا يكون الغرور بدونها غروراً ، ولا تكون هي في أحد الا بخذلان من الله

فما أشأم حرفة الأدب على أهلها وعلى الناس من أهلها . . . على أنه ما من خير الا وفيه جهة قريبة من الشرّ تجعله كله شراً ان أُريد ، ولا من شرٍّ الا وفيه جهة من الخير تحيله كله خيراً ؛ فالأمور بأسبابها ، والآداب بأخلاق أربابها ، وقلما نبغ أديب الا كان انساناً فوق الانسان ، واذا اعتبرتَ أخلاقه لا تراه الاَّ أقرب الى الملَك أو أقرب الى الشيطان



كيف نقيس الزمان

الزمان ؛ ما هو الزمان ؟

يمرُّ بنا ونمرُّ به ، يُحيينا ونحييه ، يلاشينا ونلاشيه ، ولا نعرف ماهية كيانه . ويعبر جسر الحياة تاركاً بين جوانب الأحياء جروحاً ، ناثراً على سواد الشَعر بياض القِدَم ، طابعاً على الجباه الوضّاحة تجعدات المجاهدة والملل ، دون أن نحاول ارهابه او الاقتصاص منه : الشيخوخة قبلةُ الزمان للبشر . لكن ما هي الشيخوخة ، وما هو الارهاب ، وماذا يعني العقاب ؟

والزمان . . . ما هو الزمان ؟

أراد لبنتز تحديده فقال فيه أنه « تتابع الاشياء المتواردة » . وسواء

كان هذا التحديد كافياً او غير كافٍ على الاطلاق ، فهو دائماً يعبر نوعاً عن أهم أحوالنا البسيكولوجية والفيسيولوجية البسيكولوجية المنقسمة الى ثلاثة ظروفٍ هي سلسلة حياة الانسان : الماضي والحاضر والمستقبل . ولكلٍّ من هذه الظروف علاقة كلية بالآخر يستحيل فيها الحذف والالغاء ، لانها ان لم تكن تلاشى الظرفان وتلاشى الزمان ، وهذا من ضروب المحال

فالحاضر بمفهوميتنا هو ما يقع تحت ادراك الحواس اللمسيّ أو المنويّ ، في آنٍ كائنٍ بين خطين وهميين كل منهما اكثر أو أقلّ وضوحاً : خط الذكرى وخط الأمل ، أي خط الماضي وخط المستقبل ؛ والحاضر مزيج من الاثنين ، وفي الوقت نفسه لا هو هذا ولا هو ذاك . بيدَ ان العلم المجرَّد يكاد يلغي هذه الازمنة الثلاثة ، وليس الزمان في نظره الاّ تتابع أشياءٍ وأوقات لا بداية فيها ولا نهاية ، كما ان الفضاء مسافة لا تحدّ ، ولا أعالي فيها ولا أداني . « وجميع أجزاء الوقت التي لا نعيها كساعات النوم وساعات الغيبوبة تمتزج بعضاً ببعض وتتيه في هاوية الزمان » (كانْت)

فالزمان — كالمسافة — كائن وان لم تتوارد فيهِ أشياء متتابعة ، لأن ما لا نراه نحن يراه غيرنا ، وما لا يراه غيرنا يستمد من الطبيعة قوةً ، ويتبادل مع أنواع متشابهة متضادة حركته الحيوية الدائمة . وفروغ الزمان — كفروغ المسافة — كلمة لا تعني شيئاً ، ويتعذَّر على الانسان تصوُّر مسافة أو زمن خاوٍ خالٍ من كل ما يقع في دائرة الحواس : فهنالك دائماً

هواء ونور أو ظلام ؛ وذرّات صغيرة هي عالم بذاتها ، ودقائق أثيرية إن هي الاّ جراثيم الحياة

أما قياس الزمان مجرداً كما هو فأمرٌ مستحيل لأن ادراكنا متناهٍ والزمان غير متناهٍ ، فضلاً عن ان القياس يستوجب مشابهة حجم الى حجم من نوع ثانٍ . فكيف تقيس الماضي وهو قد انقضى ولم يبق منهُ الاّ الذكر — أي أمانة في الحواس — بالمستقبل الذي لا نتلمس خياله الاّ في دوائر الرموز والتقادير ؟

على أنّا وان لم نقوَ على قياس الزمان طولاً وعرضاً فتأثيراتنا النفسانية ميزان بخله وكرمه ، ولا قيمة الاّ بما يورثه الينا من السعد والشقاء . أرواحنا ملك مشيئته ولا ينفك جائلاً فيها — حتى يرضى . وهل يعرف الزمان معنى الرضى ؟

وهناك أقيسة علمية رياضية آلية تترتب عليها حركات الاجتماع وقد اصطلح البشر على استعمالها والسير بموجب قواعدها



منذ فجر الوجود كانت الحوادث الفلكية الطبيعية أساس تقسيم الزمان ، وأهم هذه الحوادث لدينا هي دورة الشمس ودورة النجوم . والاوقات في علم الهيئة السماوية ثلاثة : يوم شمسي ، ويوم متوسط ، ويوم نجميّ . وكلٌّ من هذه الايام ينقسم الى أربع وعشرين ساعة ، وكل ساعة تتركب من ستين دقيقة كما ان كل دقيقة تتألف من ستين ثانية

فالوقت الشمسيّ يقاس بمرور الشمس تتابعاً في مكان غير ثابت

وهو أطول من اليوم النجمي . وأطول يوم شمسي هو ٢٣ دسمبر ، وأقصر يوم يومُ ١٦ من الشهر نفسه

والوقت المتوسط أوجده الفلكيون لاصلاح الوقت الشمسي ، وذلك باختراع شمسين آليتين تدوران على محورهما . أولهما تجتاز القوس السمتية بحركة متعادلة متوازنة ، بنوع انها تصلح حركة الشمس الحقيقية المتباطئة بسيرها من البعد الأدنى الى البعد الأقصى ، المتسرعة بسيرها من البعد الأقصى الى البعد الأدنى . والشمس الثانية أو المتوسطة ، تجتاز خط الاستواء السرعة التي تجتاز بها الشمس الأولى القوس السمتية ، فتمران في آن واحد في خط معادلة الليل والنهار . وحركة هذه الشمس المتوسطة اليومية هي اليوم المتوسط وهو أصلح جميع الايام الشمسية على تعددها واختلافها

والوقت النجمي يقاس بمرور نجمةٍ تتابعاً في مكان واحد في ساعة معينة ، والمسافة بين المروو والمرور هي اليوم النجمي وهو أقصر قليلاً من اليوم الشمسي ، ذلك لأن بيننا الأرض تدور دورة تامة على محورها تتبع الشمس في القوس السمتية انحناء ملائماً لحركتها الخصوصية غير انه نقيض حركة النجوم اليومية . وأعظم فرق بين اليوم الشمسي واليوم النجمي هو في ٢٣ دسمبر وقدره ثلاثون ثانية . وأقصر فرق بينهما في ١٦ من الشهر نفسه وقدره ٢١ ثانية . واليوم النجمي هو في ٢٣ دسمبر وقدره ٢١ ثانية . واليوم النجمي أقصر قليلاً من اليوم المتوسط

ان كانت حركة الفلك أساس قياس الزمان فالساعات والمقاييس

(Chronomètres) تدوّن تلك الحركة . وأول آلة كان يستخدمها الأقدمون هي بناية حجرية أو خشبيـة (Gnomon) تحدد الساعات وتقيس ارتفاع الشمس بموجب اتجاه الظـل نحو الشرق والغرب ، نحو الشمال والجنوب . ويقال ان الأهرام شيدت لهذه الغاية ايضاً . ففي اهرام مصر اذاً درس مهم من هذا القبيل

وأعقبت الساعة الشمسية هذا النوع من قياس الوقت . وأقدم ساعة شمسية يذكرها التاريخ هي ساعة اشازملك اورشليم سنة ٧٤٠ قبل المسيح وردّد ذكر هذه الساعـة صدى الاجيال ناقلاً خبر أعجوبة النبيّ اشعيا الذي اخرّ الظلّ في الساعة عشر درجات . اما الآن فلا نرى أعجوبة في مثل هذا الفعل لأنه يتجدد يومياً في ساعة تنعت بالرجعية من اختراع فلاماريون في مدينة جوفسي

ووجدت أول ساعة ثمينة في اثينا في سنة ٤٣٣ قبل المسيح ، وأول ساعة في رومية في سنة ٣٠٦ ق . م .

هذه كانت أقيسة النهار . وكانوا في الليل يستعملون ساعـة الماء (Clepsydre) أو الساعة الرملية (Sablier) وهذه الساعة عبارة عن حوض صغير وفي قعره ثقبٌ يسيل منه الماء — او الرمل — نقطة فنقطة في أنبوب ذي درجات محصاة تدلُّ الملآنة والفارغة منها على عدد الساعات . وكانت هذه المقاييس مصطلحاً عليها بين جميع فلكيّ الشرق من كلدان وصينيين ويونان . وقد أهدى هارون الرشيد الى شارلمان ساعة ماء قيل انها اجمل ساعات ذلك العصر . وكان ذلك بمناسبة اتفاقهما

ضدّ يونان الاستانة ومسلمي اسبانيا

وأول من أوجد حركة ساعاتنا الحالية راهبٌ عاش في القرن العاشر يدعى الأب جربر وقد صار بعد ذلك بابا رومية وسمي سلفسترس الثاني . واشتغلت الشعوب على اختلافها في تحسين الآت الساعة وضبط حركتها الدقيقة ، وبرع في ذلك المانيا وفرنسا فأوصلتا قياس الزمان الى حدّ قصيّ من الدقة الصناعيــة والاتقان الذي لا اتقان بعده . اما اشهر ساعة أوروبية فهي ساعة ستراسبورج وقد استمرّ اساتذة الصناعة على الاشتغال بها مدة جيلين ونيف ولا تزال باقيــة الى ايامنا هذه . غير ان حكومة ستراسبورج اضطرت الى تغيير بعض عقاربها وتبديل بعض آلاتها في القرن الماضي



لم يكتف زعماء التقدم الآليّ بقياس الزمان بل ارادوا قياس الارتقاء في الكون بواسطة الآلات . فما اكثر دعوى الانسان ! فقد اخترع هاينرتش شميد تلميذ هيكل ساعة لا تعدّ الساعات بل الاجيال ، وتدل عقاربها الى الدرجة التي وصلتها الانسانية في سلم الارتقاء

كل ساعة في هذه الآلة التاريخية عبارة عن عشرين ألف عام ، وكل دقيقة تمثل ثلاثة اجيال ، وكل ثانيــة تعني خمس سنوات . فليس ما يذكر في النهار الانساني قبل الساعة العاشرة صباحاً — أي العصور الميثولوجية . وقبل الظهر بعشرين دقيقة تدل العقارب على ظهور آثار الارتقاء الأولي في مصر وبابل . ومنذ سبع دقائق — بالنسبة الينــا — تجلت شمس

الفلسفة اليونانية وانتشرت مبادىء العلوم . ولم يمض بعد اكثر من نصف دقيقة على ظهور الآلات البخارية ، كذا ولم ننتبه غيبوبة الجهل الى عالم المعرفة الاَّ منذ دقيقة و بعض الثواني

هذه فكاهة علمية فلسفية . لكنها كجميع الفكاهات تضمر تهكماً ودعوى ، وتمكن في اعماق معانيها مرارة في رغبة المعرفة ، وألماً في استكشاف ما اغمض عن العقول في ضمير الوجود

فياليت شعري لماذا كانت الايام ولماذا كنا ؟ ! ألندوّن حركات النجوم بعقارب معدنيـة ، أم لنقابل نبضات القلب في الصدر بخفيف الافلاك في الأثير ؟ ألنرى الزمان تائهاً في دوائره الابدية التي لا مجال للمدارك فيها ، أم لنشعر بأقدام خياله دائسة على الارواح فتطبع عليها ما شاءت من آثار حاسة مجهولة بذاتها ، نسميها ألماً أو سروراً بحسب ما تُسر به الى أعصابنا من الاهتزازات المريحة أو المضنية . . . ؟

أم كانت الايام وكنا لنرتقي بها وتتعظم بنا ؟ مىّ

خطرات

« لكارمن سيلفا — ملكة رومانيا الحالية »

* ما يُخجل في الصبى ، يُبكي في الكهولة ، و يُضحك في الشيخوخة
* النار تغلي الماء والماء تطفئها ؛ لا تكرم الجحود لئلا يطفئك
* البيت لا أولادَ فيه كالجرس لا مطرقة له !
* غيرة الخاطب محمدة ، وغيرة الزوج اهانة
* الحب قويّ يفلّ السلاسل ، ويكسر القيود ، ولكنه يقتله تثاؤب بسيط !

في رياض الشعر

الشعر والشعراء

هل عرفتم لعاشقٍ نُظراء   عشقَ الأرضَ قلبهُ والسماء
تقطعُ البرَّ منهُ لحظةُ عينٍ   حين يجتاز فكرهُ الجوزآء
يُصابحُ الحسنُ عندهُ كلَّ خلقٍ   فيسوّي الاحياء والاشياء
شبَّ مذ شبَّ عاشقاً لا يبالي   حكمةً كان عشقهُ أم خطاء
عشقَ الروضَ والغياضَ وأزها   رَ الروابي والأغصنَ الخضراء
وصغارَ النجوم تبدو وتخفى   والدراري والقبَّة الزرقاء
وفضاء البحار والسحبُ تحكي   سُفناً تحتها تشقُّ الماء
وسكونَ الدجى كأنَّ الكرى أل   قى عليهِ مع الظلامِ غطاء
هامَ بالغابِ زانها الشجرُ العا   لي وزانَ الفضاء والصحراء
يسمعُ الوحشَ والطيورَ فيهوى   كلَّ صوتٍ كأنَّ فيهِ غناء
أيُّ تاجٍ يتوّجُ الغابَ في ك   لِّ صباحٍ يُزالُ عنها مساء
دررٌ من أشعة الشمسِ صيغت   ملأتها مهابةً وبهاء
واذا الشمسُ بالحجابِ توارتْ   تكتسي الغابُ حلةً سوداء
تحتها تنضوي الطيورُ فتمسي   دونها كلُّ جنةٍ غنَّاء
انَّ في الغاب للقوافي عروساً   جمَّةَ الحسنِ تفتنُ الشعراء
تتراءى فلا يَراها سواهم   وَهيَ ليستْ لغيرهم تتراءى
ولذا يرتجي من الزمنِ الشا   عرُ لو أنهُ يجيبُ رجاء
عيشةً في الخلاء لا عيب فيها   غيرَ أنْ ليس يسمعُ الضوضاء

حيثُ لا خبثَ في الهواء ولا في الـ ـترب والمـاء يجلبُ الادواء
حيث لا رزقَ كلما ركض المر ء مجدًّا وراءهُ يتنـاءى
فهوَ ما بينَ خوفِ سبقٍ وكدٍّ كفريقٍ يصارعُ الانواء
لا تطيبُ الحياةُ الاَّ لمن يهـ ـربُ منها ويهجرُ الاحياء



ليت شعري متى أرى شعراء الـ ـشرقِ يوماً بفضلهم أغنيـاء
ورثوا مَنْ تقدَّموهم فنـالوا شرَّ إرثٍ مذلةً وشقـاء
بين هجوٍ كالسبِّ أو هوَ أدنى ومديحٍ تعـدُّهُ آستجداء
عوِّدوا الذلَّ فالكبيرُ كبيرٌ فيهم حينَ يسألُ الكبراء
ليس كالمالِ للقرائح سمٌّ حين يلهو بيعاً بهـا وشراء
انمـا الشعرُ للنفوس غذاء أفسدوهُ فصيَّروهُ هُـذاء
يتبعُ الشعرُ أهلهُ فامتهاناً وابتـذالاً أوْ عزَّةً وإباء



أيهـا الشاعرُ اتَّقِ الله واذكرْ أنَّ للشعرِ حكمةً عليـاء
كنْ دليلاً الى سبيلٍ سويّ ومنـاراً يبـدِّدُ الظلمـاء
ثمَّ لا تنسَ موطناً كان يوماً لكَ كالأمّ نسبةً ونمـاء
فاحترمْ عهدَهُ وعهدَ بنيـهِ ثمَّ علّمهمُ كذاكَ الوفاء
علّم الشعبَ انَّ للشعب ديناً يمنحُ النفسَ قوةً ورجاء
قلْ لهُ إنهُ كذلك حرٌّ يعبدُ اللهَ مطلقاً كيف شاء
خُلِقَ الدينُ رحمةً غير أنَّ الناس كانوا لبعضهم أعداء
هدموهُ سرًّا وشادوهُ جهراً وأقاموا منهم لهُ رؤساء
فانبرى بعضُهم عدوًّا لبعضٍ يخدعون الجهَّـال والبسطاء

عمرَكَ اللهَ ليس أعجب أمراً من رؤوسٍ تهشّمُ الاعضاء



ليس هذا القريض الاَّ حديثَ الـ روح أوحت بنظمهِ إيحاء
فتملَّكْ بهِ العواطف واملأْ كلَّ نفس فضيلةً وعلاء
واتخذْهُ الى القلوب سبيلاً وتلطَّفْ تصطدْ بهِ العنقاء
لا تهاجمْ بهِ عفافَ العذارى لا تُضلَّ الاحداثَ والضعفاء
لُذْ برأي الجمهور في كلّ صعب وَصُنِ العدلَ وارحمِ البؤساء
لا تصفْ أيّ حالةٍ قبل أن تد رسَ منها الافعالَ والاسماء
لا تقلّدْ فيهِ ولا تتكلفْ في المعاني مشقةً وعناء
قلْ سلامٌ على القديم ودعهُ فكفانا تقلّدُ القدماء
وتعلّمْ اذا رأيتَ دعيًّا كيف تعمى عن أن ترى أدعياء
وتجلّدْ لصنعةٍ مَنَح اللاَّ هُ ذويها تجلداً وعزاء
لهوًى في نفوسهمْ زاولوها وكذا اللهُ يخلقُ الاهواء
عشقوها فأسكرتهمْ زماناً ثم ماتوا من سكرهم فقراء
فهمُ كالشموعِ تفنى احتراقاً وهمُ كالشموعِ تلقي ضياء
رحمَ اللهُ مَن مضى ولنفاخرْ أنَّ للعلمِ عندنا شهداء

نقولا رزق الله

﴿ شكوى شاعر ﴾

يا شميمَ الشيح ان جزتَ حمًى يستقي الدمعَ على البعدِ رَهاما
أبلغِ المحبوبَ عني سلوتي قبلَ أن تبلغهُ عني السلاما
علَّهُ يبلو اناساً بعدنا فيرى مَن ذا على العهدِ أقاما

ربما أعلنتَ مرضاةَ الهوى / سرٌّ من تهوى فقطّعتَ الذماما
أيها الباذرُ حبًّا في الرُّبى / جئتَ تصطادُ فطيَّرتَ الحماما
قد سكرنا فوجدنا دولةً / وصحونا لم نجد الاَّ المُداما
وبذرنا العمرَ حبًّا ومُنىً / وحصدناهُ انشقاقاً وانقساما
ولقد عشنا كِراماً في الهوى / فاذا مُتنا به مُتنا كِراما

عبد الحليم المصري

نظرة بعيدة

ويحَ العيونِ أكلّ شيء أبصرتْ / أغرى بها ألماً وهاجَ شُجونا
القبحُ يقذيها وتسيلُ دمعها / غرُّ المحاسنِ حسرةً وفتونا
فانظرْ كانك حين تنظرُ لا ترى / أو عِشْ معنًى في الحياةِ حزينا
أو قلْ لغاويةِ العيونِ تقدّمي / عهدَ الملاحةِ والشبابِ سنينا
ان الذي يسبيكِ سوف تريْنهُ / قوساً ولكنْ لا تُصيبُ طعينا
قد كان يُذكركِ السماء فقد غدا / حدِباً يحنُّ الى الترابِ حنينا
الدهرُ أغرى بالجمالِ جنودَهُ / لولاهُ جُنَّ العاشقونَ جنونا
ان أبدعتْ أيدي الطبيعة صورةً / جاء الزمانُ فأفسدَ التلوينا
فأعاد نضرتَها البهيةَ سُفعةً / وأحالَ سوداء الغدائرِ جُونا
حاشايَ أشمتُ بالجمالِ وانما / أجدُ الجمالَ على الجمالِ معينا

عباس محمود العقاد



فرسايل

VERSAILLES

اتخذ الانسان الحروف ، والانغام ، والألوان ، والاحجار ليعبر عن افكار عقله وعواطف قلبه . فنشأ عن ذلك فنُّ الكتابة وفنُّ الموسيقى وفنُّ التصوير وفنّ الهندسة . وكل فنٍّ من هذه الفنون يُعدُّ مظهراً من مظاهر العقل البشري ، وشكلاً من الاشكال التي تجلى بها في خلال الاجيال والعصور ؛ فنبغ الكتّاب البارعون ، والموسيقيون المطربون ، والمصوّرون الحاذقون ، والنقاشون الصانعون . وكانت درجة نبوغهم بنسبة حذقهم في استعمال المادة الأوّلية — من ألفاظٍ وأنغامٍ وألوانٍ وأحجار — في إبراز مولّدات أفكارهم وبنات قرائحهم

ان البصير المتأمل يقرأ تاريخ الفكر البشري تارة مدوّناً في كتاب ، وطوراً موقّعاً في لحن ، وحيناً ممثلاً في رسم ، وآونة منقوشاً في بناء ، حسبما كتبهُ القوم بحروف أو نغم أو لون أو حجر

وما اهرام مصر ، وبعلبك الشام ، وحدائق بابل ، واكروبول آثينا ، وكابيتول رومة ، وايوان كسرى ، والخورنق والسدير ، وبرج إيفل ، وجسر بروكلين الاّ صفحات كبيرة من ذلك الكتاب العظيم المدوّن فيهِ تاريخ البشر القديم والحديث بحروف من حجارة وحديد . فنقرأ فيها عادات القوم وأخلاقهم وأميالهم وأطوارهم كما نقرأها في أقوال بنتاؤور وهوميرس وفرجيل وامرىء القيس وغيرهم ؛ أو كما نسمعها في نغمات

الموقّعين ونراها في ألوان المصوّرين منذ القِدَم حتى اليوم

***

من أجمل فصول هذا التاريخ المكتوب بالحجر المنحوت قصر ڤرسايل الشهير . واذا كانت عظمة المنشىء تتجلى في ما ينشىء ، وابّهة الواضع تظهر في ما يضع ، فاننا نصف هذا القصر بأبلغ وصف اذا قلنا أنه أثرٌ من آثار لويس الرابع عشر الكبير الذي ازدهرت العلوم والمعارف والآداب والفنون والصنائع في عصره ازدهاراً قلما عرفتهُ من قبل ومن بعد ، حتى أُطلق عليهِ اسم «الملك — الشمس» وعلى عصره اسم «العصر الذهبي»

وهذا القصر قائم في البلدة المعروف باسمها ، وهي واقعة على مسافة ثمانيـة عشر كيلومتراً من باريس جنوباً بغرب ، وقد ورد ذكرها لأول مرة في التاريخ في النصف الاول من القرن الحادي عشر . ولم تكن في بداية عهدها سوى مزرعة قائمة في ظهرانيّ العاصمـة ، يقصدها ملوك فرنسا — وأخصهم هنري الرابع ولويس الثالث عشر — للصيد والقنص في غابتها ، الى ان شاء لويس الرابع عشر ان يجعلها مقرًّا ملكياً له ، فتبارى رجال الفنون والصنائع حتى أقاموا فيها ذلك الصرح الشاهق ، فقام تحفّ به العظمة والجلال ، ويكنفهُ الذوق والجمال ، مثـل كل ما تمّ على عهد هذا الملك المجيد من الاعمال . وقد بدأ العمل في بناء القصر سنة ١٦٦١ ؛ وظلّ البنّاؤون والرسامون والمصوّرون يعملون فيهِ مدة احدى وعشرين سنة متوالية ، وكان الملك يطّلع على كل الرسوم والمقايسات ويراقب بنفسه تنفيذها . ويبتدئ تاريخ بلدة ڤرسايل في الحقيقة من ذلك العهد .

لأن الملك امر ان تقام حول قصره منازل لضباط بلاطه ورجال حاشيته . وأخذ الأمراء يتسابقون لتشييد القصور لهم حتى يكونوا على مقربة من سيدهم ومولاهم . فاتسع نطاق البلدة وزاد عمارها . ولم يسمح لأحد ان يزيد بناء داره عن دور واحد . وشذَّ عن هذه القاعدة قصر كلانيي (Clagny) الذي أراده الملك مضاهياً لقصره رونقاً وجمالاً ، وأُعدَّ لسكنى « مدام ده مونتسپان » ؛ على انه هُجر فيما بعد وهدم بأمر الملك سنة ١٧٦٩

وظلت البلدة في عمار متواصل على عهد لويس الخامس عشر . وفي ٢٢ فبراير (شباط) سنة ١٧٨٧ عُقدت فيها جمعية الاعيان، فكانت بداية الثورة الفرنسوية الكبرى ، لأن هذه الجمعية قررت تقسيم البلاد الى مقاطعاتٍ تديرها مجالس محلية . وهذا أشبه شيء باللامركزية التي يطلبها العثمانيون اليوم

وجاءت سنة ١٨٨٩ فكانت ڤرسايل ميداناً لحوادث خطيرة يطول تفصيلها لأنها صفحة كبيرة من تاريخ الثورة . في ٥ مايو من تلك السنة كان انعقاد الجمعية العمومية في ڤرسايل ؛ وفي ٢٠ يونيو اجتمع فيها مندوبو الأمة وأقسموا ألاَّ يتفرّقوا قبل ان يسنّوا للبلاد نظاماً دستورياً تسير عليه ؛ وفي ٥ اكتوبر هجم شعب باريس على ڤرسايل ، ودخلوا القصر عنوةً ، وعادوا ثاني يوم بالملك والملكة أسيرين الى باريس . وظلت المدينة في هدوءٍ وسكينة بعد انتقال مقرّ الحكام منها حتى سنة ١٨١٤ اذ احتلها جيش المتحالفين المهاجمين فرنسا ، وقد أحلّ بها البروسيان في السنة

التالية الخراب والدمار. ولكن الملك لويس فيليب أعاد لڤرسايل سنة ١٨٣٧ رونقها وبهاءها باقامة متحفٍ فيها جامع لكل آثار فرنسا المجيدة ؛ على انه أبى ان يسكنها كما أبى ذلك ايضاً نابوليون الثالث بعد تبوّئهِ عرش الامبراطورية ، كأن ذكرى ما حلّ بلويس السادس عشر ظلت تخيف الرؤوس المتوّجة فلم يأمن رأس منها ان يستظلّ سماء ذلك المكان

وفي الحرب السبعينية احتلت جيوش بروسيا مدينة ڤرسايل ، وظلّ معسكرهم العام فيها من ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٠ الى ٧ مارس سنة ١٨٧١ . وفى القصر الذي بناه لويس الرابع عشر ملك فرنسا الاكبر ، نودي بغليوم الاول ملك بروسيا امبراطوراً على المانيا

وبعد جلاء الجيش الألماني عن أرض فرنسا قامت في البلاد حرب أهلية ، فتألفت حكومة لمقاومة الثورة وجعلت مركزها ڤرسايل

وفي ٥ مايو سنة ١٨٨٩ أقيمت في ڤرسايل احتفالات باهرة بمناسبة التذكار المئوي للثورة الفرنسوية الكبرى . وفي ١٨ اكتوبر سنة ١٨٩٦ استقبلت حكومة فرنسا امبراطور وامبراطورة روسيا استقبالاً رسمياً



أما القصر القائم في مدينة ڤرسايل والمعروف باسمها فهو من أفخم آثار فرنسا واجملها . فهو فخمٌ جميلٌ بنفسه ، فخمٌ جميلٌ بما جرى فيه من الحوادث ، فخمٌ جميلٌ بما يضمّ الآن من الآثار النفيسة وطرَف الفنون والصنائع التي يندر أن يوجد لها مثيل

وفي الجزء الأوسط من القصر قاعة السلام ، وقاعة الحرب وقاعة ديانا ، إلاهة الصيد ، وقاعة ابولون ، وغيرها كثير ، وهناك ايضاً حجَر الملك وفيها سريره وهو اشبه شيء بعرش للملك لا بسرير للنوم . وفي المؤخر قاعة المرائي الشهيرة وطولها ٧٢ متراً زانها المصوّر لبرون برسوم بديعة الصنع

والى جانبي باحة الرخام الكبرى ينبسط جناحا القصر ، كل جناح على طول ١٢٠ متراً . وكان الايسر منها خاصاً بسكنى ماري انطوانت التي قيدت من تلك المقاصير الفخمة الى ساحة العذاب إبان الثورة المشهورة . ولا تزال الى اليوم حجرتها الخاصة كما تركتها في ذلك العهد . وكان الجزء الاسفل مسكناً لوليّ العهد . اما الجناح الأيمن فكانت فيه مخادع الملك الخاصة . وفيها نافذة محجوبة يطلّ منها الملك على باحة الرخام الكبرى فيرى ولا يُرى

وبعد ان حوّل الملك لويس فيليب القصر الى متحف في سنة ١٨٣٧ جعل من الجناح الايمن معرضاً لرسوم الحوادث والوقائع العسكرية ومن الجناح الأيسر معرضاً لصور ورسوم ونقوش تتعلق بتاريخ فرنسا وآثارها المجيدة

وكان في طرف الجناح الأيسر المصلّى وهو آية في جمال الهندسة ورونق الزخرفة ، وفي طرف الجناح الأيمن الملعب الذي اتخذه المجلس الوطني مكاناً لاجتماعه من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٥ ثم تحوّل الى مجتمع لمجلس الشيوخ الى سنة ١٨٧٩ . وفي سنة ١٨٧٥ أعدت الحكومة في

الجزء الاوسط مكاناً فسيحاً لمجلس نوّاب الأمة وهو اليوم مجتمع المجلسين « النوّاب والشيوخ » عند انعقادهما معاً كاجتماعهما في أواسط الشهر الماضي لانتخاب رئيس الجمهورية ، كما رأى القارئ ذلك مفصّلاً تفصيلاً في صدر هذا الجزء

وفي جنبات القصر وفسحاته وحدائقه تماثيل عديدة من الرخام او البرونز لمشاهير رجال التاريخ الفرنسي يتوسطها في الباحة الكبرى تمثال باني القصر لويس الرابع عشر ممتطياً جواده

ومَنْ ذَكر ڤرسايل فقد ذكر قصرَي التريانون الكبير والصغير المتصلة حدائقهما بحدائق القصر الأكبر. وقد بُني التريانون بأمر من لويس السادس عشر وأهداه الى الملكة ماري انطوانِت

اما حدائق ڤرسايل ، فعند وصفها يقف القلم واجماً واللسان عيياً . أهي جنة الله في أرضه ؟ أم هي احدى الجنان التي ورد ذكرها في اقاصيص « ألف ليلة وليلة » ؟ فسماؤها وارضها ، وهواؤها وماؤها ، واشجارها وغياضها ، وأطيارها وأزهارها فتنة العقول والعيون ، وآية من آيات الجمال والابداع

وبعد هذا — وما هو الاّ يسير من كثير — ألا يصح القول بان مثل هذه الآثار صفحات حية من تواريخ الأمم تقرأ فيها آيات مجدها ، واسفار عظمتها



في جنائن الغرب

« ضريح الشاب »

« للشاعر الروسي الشهير بوشكين »

هبّتْ سموم الحياة فأذوت وردة الربيع . قصفتهـا قبل ان يفوح شذاها العطر ؛ نزعتها عن الغصن ووارتها التراب

حجب ، فاعتاض عن المحبة والمسرات سكوناً و برداً مخيفين

كان يحب العذارى عندما كنّ يجتمعنَ أيام الربيع تحت الاشجار ؛ والآن لا صوت له في مجتمعاتهنّ وانديتهنّ . كم حسدته اعين الشيوخ ، وكم خفقت لمرآه قلوب العذارى ! كم وكم تهامس الشيوخ عند مرآه « كنا نحن أيضاً شباناً ، وكان فينـا نضارة ونشاط . ستتوالى السنون وتصبح ايها الشاب مثلنا » . وآسفاه ألم يصبح مثلكم ؟ انه ذوى قبل ان يجني ثمر الحياة . لم يكد ينشأ حتى قصفته يد المنية . كان بالامس ففقد . وكما تتلاشى أنوار النجوم أمام عظمة الشمس ، تلاشت حياته امام ملاك الموت

لا يزال الشيوخ في قيد الحياة وهو ذوى في ربيعها ، وصديقات الشاب عاكفات على المسرات كأنه لم يكن . وقلّ ان يرد ذكره فى الاحاديث . ولعلّ واحدة هنالك من اللواتي أحببنه تسكب الدمع على ضريحه

هنالك ضريح الشاب فى آخر الطريق — حيث نبتت السروة تمايل أسفاً على زهرة الحياة الذابلة — عبثاً ترسل الشمس أشعتها ، و يسبح البدرُ

في أوقيانوس الفضاء ، وتنساب الساقيــة قرب الضريح مرددةً انينها المنسجم ؛ عبثاً تمايل اغصان الغابة ، وعبثاً تأتي الحسناء في طلب الاثمار وتضع رجلها وجلة في المياه اليادرة . . . لن يوقظه من ظلمات قبره شيء !

عبده ابو جمره

الزهور

الزهور أحلى خلائق الله التي نسيَ ان يضع فيها نفساً ناطقة

هـ . و . بتشر

الزهور شعرُ الأرض المطرب　　　دى مونتغميري

ان الزهور كتاب مفتوح قد وضعهُ الخالق لتعليم الانسان اللطف والتسامح في كل شيء ؛ وأحسن برهان على ذلك ان الانسان يدوسها تحت قدميه ، أما هيَ فترفع رأسها وعلى وجهها ابتسامة جميلة ، واذا أدناها من أنفهِ اشتمَّ رائحة ذكية وهذا معنى الآية « احسنوا الى مبغضيكم »　　　دى مونتغميري

خلق الله الزهورَ لزينــة الأرض وجمالها ، ولتعزية الانسان ؛ ولكنَّ أغبط البشر وأسعدَهم مَن يجمعُ آيات الحكمة السماوية من زهرة واحدة

وورد ورث

الزهور تعزية الانسانية ، وكنز القروي الحقير　　　رسكن

ان العالم بلا زهور كوجهٍ بلا ابتسام ، ووليمة لا يرحب أصحابها بالمدعوين ، بل يقابلونهم بكل عبوسة . أليس الزهور كواكب الأرض ، والكواكب زهور السماء ؟

مسز بلفور

(الخرطوم)　　　تعريب　　　بباوى غالى

(٧١)

قصر سان جيمس

مرَّ بالقارىء في غير هذا المكان شيء عن قصر « فرسايل » كتبناه بمناسبة الجمعية التي عُقدت فيهِ لانتخاب رئيس الجمهورية الفرنسوية . ورأينا بمناسبة اجتماع المندوبين العثمانيين والبلقانيين في قصر « سان جيمس » بلندن ان ننشر كلمةً عن هذا القصر كتبها خصيصاً لمجلة « الزهور » كاتبٌ اديبٌ فاضل زاره في العام الماضي قال :

سر كيفما شئت في شوارع عاصمة الانجليز ، لا تجد فيها من عظمة البناء ما تشاهده في غيرها من عواصم الغرب . وما ذلك الاَّ لأن الانجليز أبعد الناس عن الابّهة الظاهرة ، وأشدهم تمسكاً بالعظمة الحقيقية . فاذا نظرت الى قصور ملوكهم لا تجدها تمتاز بشيء من فخامة البناء التي تمتاز بها صروح اللوفر وفرسايل والتويلري ؛ ولكنك اذا دخلت اليها وقفت عندها حاسر الرأس خاشع الطرف ، مما يتمثل لك من عظمة الملك ورفعة السؤدد

ولعلَّ الانجليز أحرص الناس على آثار ملوكهم ، وقصور عظمائهم . والعبرة عندهم بما وقع في تلك القصور من الحوادث التاريخية الخطيرة . ولذلك تراهم ينظرون الى قصر « سان جيمس » مثلاً ، فتطربهم ذكرى ما وقع فيه وطرأ عليه

مررتُ بهذا القصر لاوَّل مرة ، فوجدته ذا منظر حقير من الخارج ، حتى ظننتني واقفاً أمام بيت رجل من طبقة العامة . ولولا صديق لي

كان معي ولفت نظري اليهِ ما صدّقت أنني واقف أمام قصر من أعظم قصور الانجليز

بني هذا القصر في عهد الملك هنري الثامن الذي اتخذه مسكناً له . الا أن ملوك انجلترا الذين جاءوا بعده لم يتخذوه مقرًّا خاصاً حتى عهد الملك وليم الثالث . ويظهر أنه لم يبقَ اليوم من بنائه الأصلي الا آثار قليلة ، فان ناراً هائلة التهمت معظمه في سنة ١٨٠٩ ، فدمرت جناحه الشرقي . ثم أُعيد بناؤه بالنسق الذي هو عليهِ اليوم . اما الدخول اليه فيقتضي طلب اذن خاص الا في بعض المواسم التي يعرض فيها الجيش في فناء القصر اذ يستطيع الزائرون الدخول الى الباحة الكبرى ليشاهدوا حفلة العرض

ولهذا القصر تاريخ يترنح له الانجليز ويطربون لذكراه . فان اسمه مقرونٌ عندهم بذكر ملوك وملكات وساسة وعظماء تركوا بعدهم ذكراً مجيداً . فهو القصر الذي سكنه الملك هنري الثامن وادورد السادس والملكة اليصابات . واليه لجأت الملكة ماري عند غياب زوجها ، وأقامت به حتى وفاتها . وكان هذا القصر مقرّ الملك شارلس في أهنإ أيام ملكه ، وفيه ولد معظم أولاده . ولما حُكِم عليه بالموت صلّى صلاته الاخيرة في البيعة التي في داخله ، ثم خرج منها واجتاز في حديقتهِ محاطاً بثلةٍ من من الجند الذين اقتادوه الى المشنقة كما هو معروف عند دارسي التاريخ . وقد ودَّعهُ اولاده في ذلك اليوم وداعاً اتخذه كثيرون من الرسَّامين موضوعاً تفننوا بهِ وأبدعوا ما شاءَ لهم الفنّ . وكان القائد مونك الشهير

يعقد موآمراتهِ السياسية في هذا الصرح ويسعى لاعادة الملك المخلوع . وفيهِ ايضاً وُلد البرنس جيمس فردرك ادورد الذي كان مطالباً بعرش انجلترا . وكان البعض يعتقدون انهُ لم يكن ابناً شرعياً بل نقل الى غرفة امهِ الملكة بطريقة الخداع . ومن أدلتهم على ذلك ان السرير الذي وُجد فيهِ الطفل مقمطاً كان الى مؤخرة الدَّرَج التي في داخل القصر بعيداً جداً عن أمهِ . على ان هذا الزعم لم يبقَ من يؤيدُه اليوم في انجلترا

ومن الحوادث الخطيرة التي وقعت في هذا القصر ان الملك جيمس الثاني نام فيهِ في الليلة التي سبقت تتويجهُ . ومن هناك هرب ولم يرجع الى انجلترا قط . ولما جاء وليم اوف اورنج اتخذه مقرًّا له ريثما يستتب له العرش . وبلغ قصر سان جيمس ذروة شهرتهِ على عهد الملكة حنة وزوجها ؛ فانهُ اصبح منذ ذلك الحين مركزاً لسائر الحفلات والمقابلات الرسمية . وسكن فيهِ جورج الاول والثاني والثالث والرابع . ولما جاء وليم الرابع اتخذه هو والملكة ادلائيد مقرًّا لهما ؛ وأقاما فيهِ كثيراً من الحفلات الرسمية ؛ الاَّ ان شمس سعده آذنت بالافول عند ارتقاء الملكة فيكتوريا الى العرش فانها أهملتهُ ووقفتهُ على بعض الحفلات الرسمية فقط . وربما كان آخر الحفلات التي جرت فيهِ حفلة اليمين التي أقسمها المرحوم الملك ادورد السابع عند ارتقائهِ العرش ، ثم حفلة اجتماع المندوبين الاتراك بمندوبي البلقان للبحث في شروط الصلح كما يعلم القراء

س . ع .

في حدائق العرب

﴿ الانتقاد ﴾

انتقادُ الخنساء لشعر حسَّان بن ثابت مشهورٌ ؛ والخنساء من شهيرات شواعر العرب ، وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد المضريّ . والخنساء لقبٌ غلب عليها ، وكنيتها أمُّ عمرو . وقد ضرب بها المثل في حزنها على أخيها صخر . ومعظم شعرها في رثائهِ ورثاء معاوية أخيها الآخر . قيل لجرير : مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا ، لولا هذه الخبيثة . يعني الخنساء . وقال بشّار : لم تقلِ امرأةٌ الشعرَ الاَّ تبيّن الضعفُ فيهِ . قيل : أوَ كذلك الخنساء ؟ . قال : تلك فوق الرجال . أما انتقادها الذي أشرنا اليهِ فاليك خبره :

أنشدت الخنساء النابغةَ قصيدةً في أحد المواسم . فقال لها « انكِ أشعر من كل ذات ثديين » وكان حسَّان بن ثابت ممن أنشدوا في ذلك الموسم ، فغضب من اطراء النابغةِ الخنساءَ ، وقال « أنا أشعر منكَ ومنها » فقال النابغة « خاطبيهِ يا خنساء » فقالت لحسان « ما أجوَد بيت في قصيدتك » قال : هذا البيت

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضحى وأسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دَما

فقالت : ضعَّفتَ افتخارك ، وأنزرتهُ في ثمانية مواضع من هذا البيت ؛ فقد قلتَ « لنا الجفنات » والجفنات ما دون العشر ، ولو قلتَ « الجفان » لكان اكثر ؛ وقلتَ « الغرُّ » والغرَّة بياض في الجبهة ، ولو قلتَ « البيضُ » لكان اكثر اتساعاً ؛ وقلتَ « يلمعنَ » واللمع شيء يأتي بعد شيء ، ولو قلت « يشرقنَ » لكان أفضل ؛ وقلتَ « بالضحى » ولو

قلتَ « بالدجى » لكان اكثر طراقاً ؛ وقلتَ « أسيافنا » والاسياف ما دون العشرة ، ولو قلتَ « سيوف » لكان اكثر ؛ وقلتَ « يقطرنَ » ولو قلتَ « يسلنَ » لكان اكثر ؛ وقلتَ « دَماً » والدِماء اكثر من الدم . فسكت حسان ولم يحرِ جواباً



ثمرات المطابع

حديث عيسى بن هشام

« لمحمد بك المويلحي »

كلفتني « الزهور » ان أنتقد « حديث عيسى بن هشام » لمحمد بك المويلحي . فكرهت في أول الامر ان أضع نفسي بين الادباء في موضع يحقُّ لهم ان ينكروه عليَّ ، لانني ما كتبت قبل الآن فكيف بهم ان رأوني دسست نفسي بينهم لانتقد كتاباً أنشأه كبير من كبارهم ، والمنتقد مكروه عندهم ولو كان ذا اطلاع واسع ومادة غزيرة . ولكنني آنست من اسم المويلحي فائدة للناس كالفائدة التي عادت علينا جميعاً من « ما هنالك » للمرحوم أبيه ، فقرأت كتاب الابن متيمناً باسم الوالد

كنت اذا أتاني كتاب عربيٌّ أُلقي عليه نظرة لأرى حجمه ؛ فان كان غليظاً ثخيناً قرأت اسم المنشئ ؛ فان كان ذلك الكتاب اول عهد المؤلف بالتأليف قلت ان في الرجل بعض الغرور لأني لا أتوسم خيراً في رجل لم يروّض نفسه على التأليف من قبل ، ثم هو يرمي الى القراء كتاباً

ضخماً لا يقدم عليه الا كل محنَّك في هذه الصناعة ؛ لأن الانشاء كبقية الصنائع يجب على الانسان ان أراد التفوّق فيه ان يمارسه كثيراً ، ويجهد نفسه في كل يوم لتقويم اعوجاجه ، وتصحيح هفواته . وخير طريق للمرء تبلغه ذلك ، الاقتداء بكبار المنشئين ، والمقارنة اليومية بين عمله وعملهم ، واسلوبه واسلوبهم ، في مؤلفات صغيرة ينشئها من حين الى آخر . فان ارتاحت نفسه الى المقارنة ، وآنس منها الفلاح ، جاز له بعد ذلك التعرض للمواضيع الواسعة وتأليف المؤلفات الضخمة

أضف الى ذلك ان من عرّض نفسه للتأليف وجب عليه ان يضع نصب عينيه التفوّق فيه ، ذلك اولاً لان المؤلف حرّ في ان يظهر كتابه متى شاء فاحرِ به ان لا يظهره الا بعد ان يكون أتم بنيانه ، وأحكمه ، ومحص كلياته وجزئياته . فان أظهره قبل ذلك عدَّ مغروراً او محتاجاً ، والقارئ لا يغتفر له غروره وليس عليه سدّ احتياجاته ، وثانياً لأن المنشئ يعلل نفسه بان كتابه سيعمّر طويلاً ، والعمر الطويل في البنية الصحيحة

وهناك قاعدة اخرى أشير اليها اشارة خفيفة لأنها لا تحتاج الى بيان كبير ، وهي تنحصر في ان كل مؤلف يعتمد على جهل قرائه في عدم كشف خطاءه فهو شرّ المؤلفين



هي قواعد اولية ، تكاد تكون بديهية ؛ ويسؤني ويسوء كل مجتهد ان نرى بعضاً من جماعة المؤلفين العربيين أغفلوها في عصرنا هذا. ولذلك حوّل المجتهدون وجوههم شطر كتب الافرنج فانكبّوا عليها . ولا غرابة

في ذلك لان حبَّ الكمال والجمال طبيعة في الانسان يهتز له فيسعى اليه من كل صوب

خذ اكثر الكتب العربية التي أنشئت في هذه السنين الاخيرة وأنا الكفيل لك ان ترى فيها احدى الخلال الآتية : اما ان يكون الكتاب متين اللغة تافه الموضوع ، واما تافه الموضوع وركيك اللغة معاً ، وقلما وجدت كتاباً متيناً لغة وموضوعاً

موضوع « حديث عيسى بن هشام او فترة من الزمن » بسيط . وخلاصته ان عيسى بن هشام ، رأى في المنام ، انه بينما هو سائر بين القبور يحدث نفسه بغرور الانسان اذا برجةٍ عنيفة من خلفه . فرأى قبراً قد انشقّ وخرج منه دفين كان في حياته أحد الباشاوات المعاصرين لمحمد علي باشا، وطلب اليه ان يسير معه في انحاء القاهرة . وعند خروجهما من المقبرة تعرض لهما مكاريٌّ مكّار واراد خدعهما، فتشاجروا فأدّت بهم المشاجرة الى تداخل البوليس فقاد الجميع الى القسم ، ومن القسم الى النيابة ، فالمحكمة . وبعد انتهاء المحاكمة أراد الباشا التطواف في القاهرة فسار يصحبه عيسى بن هشام وزارا منتدياتها وحوانيتها ومحال اللهو فيها الى غير ذلك

وغرض الكاتب من هذا كله انتقاد كل شيء وقع النظر عليه من « الحمّار » المكار الى الهرم الكبير

والكتاب يقع في ٤٤٧ صفحة على هذا المنوال وكل ما جاء فيها رآه عيسى بن هشام في المنام

قبل كل شيء أرى ان محمد بك المويلحي اخطأ في تسمية كتابهِ حديث « عيسى بن هشام » لان عيسى بن هشام هذا يعرفهُ صغار التلاميذ وكل ناطق بالضاد أنهُ رجل بديع الزمان الهمذاني عزى اليهِ البديع رواية المقامات التي ابتدعها . واني لأخاف ان يرى المجتهدون في هذه التسمية حيلة على ترويج الكتاب

عجبت من هذه التسمية كما يعجب محمد بك المويلحي نفسه لو رأى كتاباً لي ومن وضعي اسمهُ « كليلة ودمنة » او « سقط الزند »

وزاد تعجبي ايضاً عندما رأيت ان المنشىء اقتصر في اهداء كتابه الى أرواح ابيهِ الاديب ، وجمال الدين الافغاني الحكيم ، ومحمد عبده العالم ، والشنقيطي اللغوي ، والبارودي الشاعر ، وأغفل عمداً او عن غير عمدٍ بديع الزمان . ليس من العدل ان يؤخذ اسم رجل شهرهُ البديع حتى صار كنار على علم ويزان به كتاب توخى فيه الكاتب اسلوب البديع في الانشاء والتسجيع ثم يضنّ عليهِ بهدية معنوية لا قيمة لها

***

حدث « عيسى بن هشام » انهُ رأى في المنام القبور تفتح ويخرج منها دفين ، وحمّاراً يخدع الدفين ، وشرطياً يحابي الحمار ، ومأموراً يحابي الشرطي ، ومفتشاً يحابي المأمور ، ونيابة تحابي المفتش ، وقاضياً يحابي النيابة ولجنة مراقبة تحابي القاضي ، وناظر حقانية يحابي لجنة المراقبة ، ومحامياً يخدع الجميع

كل هذا رغبة منهُ في انتقاد الحمّار والعسس والمأمور والمفتش

والنيابة والقاضي ولجنة المراقبة والحقانية والمحامي ولكنهُ لم ينتقد شيئاً فيهم بل طعن عليهم ، والانتقاد شيء والطعن شيء آخر . ويجب على المنتقد ان يأتي بالبرهان الصادق ، والبرهان مشقة عقلية ، فاختار المؤلف الطعن لكي لا يتكلف البرهان . المنتقد يصف الدواء والطاعن لا يصف شيئاً

نظامنا الحالي أرقى نظام وجد الى الآن . فيهِ اضرار وفيهِ منافع ولكن منافعه اكثر من ضرره . فمسخهُ على هذه الصورة ، وعرضهُ على الناس بهذا الشكل القبيح ليس من العدل في شيء ولا من حسن الانشاء ايضاً

زار الباشا يصحبهُ عيسى بن هشام القسم فقلم السوابق فغرفة التحقيق فمحكمة اول درجة ، فمحكمة الاستئناف فمكتب المحامي ، فلم يرَ سوى الرشوة والاهمال والنصب والكسل والمحاباة والاغتيال والسرقة . ان هذا التعميم تحامل معيب لا يصدقهُ فيهِ احد واني انكره عليه وادعوه الى دار المحكمة الاهلية يوماً لينظر بعينيه كيف يعامل المتقاضون ويسمع بأذنيهِ الاحكام التي يصدرها القضاة

وسار الباشا يصحبهُ عيسى الى الحانات والفنادق واندية المقامرين وقال فيهم ما قال مالك في الخمر . فلا ارى بأساً ؛ غير ان كلامه عليهم اصبح مبتذلاً يعامه الخاص والعام وقد ردده الناس منذ ابينا نوح اول من سكر الى اليوم فلم يأتِنا المؤلف بشيء جديد من عنده

ثم تحامل المؤلف على هيئتنا الاجتماعية تحاملاً لا يبرره شيء حتى ان الباشا تعامى عن كل عمل صحيح فيها . سار الباشا ما سار وطاف ما

طاف ، فلم يرَ خط الترامواى ولا اوتومو بيلاً ولا تلفوناً ولا نوراً كهربائياً ، وان رأى شيئاً من ذلك عرضاً لم يسأل عنهُ ولم يتعجب منه . ذلك اما ان يكون لضعف في التأليف واما لغرض في نفس المؤلف لكي لا يسوقه الكلام في ذلك الى مدح مدنيتنا التي قد لا تروقه

وسمع عيسى بن هشام ما سمع ورأى ما رأى وطاف ما طاف ، في منام واحد لم يستيقظ منهُ لحظة واحدة لا فزعاً من الدفين الخارج من القبر ، ولا على صياح الباعة وضوضاء المدينة ، ولا من شيء آخر . وكنت قد أمَّلت ان المؤلف سيوقظه في آخر الكتاب بعد ٤٤٧ صفحة فخاب ما أمَّلت واظنه لا يزال نائماً الى اليوم

لا بل ذكر المؤلف ان عيسى بن هشام رأى في المنام انهُ دخل الى غرفتهِ ونام صفحة ٤٤٣

تالله لم يبقَ للتعجب موضع



لو أردت ان اتتبع المؤلف في كل خطواته لاضطررت الى انشاء كتاب اضخم من كتابه انتقاداً عليه واني ما اعتدت الكتابة إلاَّ قليلاً فاحجمت عن ارتكاب خطإ وقع هو فيه

ولكني لا اختم هذه المقالة قبل ان اذكر للقراء شيئاً من حسن ذوق المؤلف في التأليف ، واختياره البرهان الصحيح على ما يقدمه من المقدمات . قال : « كان محمد علي باشا الكبير معجزة دهره وآية عصره في الدهاء وعلوّ الهمة وبعد النظر .. واني اعرف له قصة في حسن

الاجمال والادماج وذلك ان صدر امره الى المرحوم حسن باشا الانجير كويلي بتعيينه حاكماً على السودان فامتنع الرجل وأظهر عجزه لجهله باللغة العربية وقال كيف يمكنني ان اتولى امور قوم لا اعرف حرفاً واحداً من لغتهم فدعاه محمد علي وقال : ليست معرفة اللغة مما تقتضيه ولاية الاحكام ولا هي اداة لازمة للحكم يختل بفقدها ، وما عليك في منصبك هذا الاّ ان تكتفي بمعرفة كلمتين اثنتين في اللغة العربية يجري بهما لسانك وهما (فلوس) (كرباج) »

ويحه ألم يخجل من خديوينا حفيد ذلك الرجل الكبير . انها فرية على محمد علي باشا وهو « معجزة دهره وآية عصره في الدهاء وعلو الهمة وبعد النظر » ان من كان ذلك الرجل لا يقول هذا القول ا. ى.

التصوير الشمسي والزنكوغراف [1] — لشكري افندي صادق ولعٌ خاص بالفنون الجميلة والصنائع . وقد أتحف قرّاء العربية بابحاث جليلة في هذا الباب . والكتاب الذي نحن بصدده الآن يبحث في صناعة التصوير الشمسي والحفر على الزنك من الوجهتين العلمية والعملية ، وهو مزين بصور ورسوم كثيرة تساعد القارىء على تفهّم ما فيه من القواعد والشروح . ولا غنى لطلاب التصوير الشمسي من اقتناء مثل هذا الكتاب الحافل بالفوائد

تاريخ الفنون الجميلة اليونانية [2] — هذا الكتاب ايضاً للشاب

(١) طبع بالمطبعة الجمالية بمصر . عدد صفحاته ٢٦٤

(٢) طبعة بمطبعة التوفيق بمصر . عدد صفحاته ١٤٤

النشيط الأديب شكري افندي صادق . ومن عرف الشأو البعيد الذي بلغته الفنون عند قدماء اليونان يعرف الفائدة التي يمكننا ان نجنيها من درس تاريخ الفنّ اليوناني الذي عبرّوا عنه بكلمة واحدة وهي « الجمال » فنثني على شكري افندي الثناء الجميل ذاكرين له اعتناءه بالفنون الجميلة على قلة المعتنين بها اليوم في الشرق

قانون الزواج[١] — هو أكبر كتاب علمي فيسيولوجي صدر في بابه في اللغة العربية . وضعه حضرة الكاتب الفاضل الياس أفندي الغضبان صاحب « تاريخ الانسان الطبيعي » وضمّنه نواميس الزواج الطبيعية وشروطه الصحية والأدبية وأهم ما توصل اليه العلم والاستقراء فيما يتعلق بتعليل الجنس والحمل والولادة والمولود والامراض الناشئة من الافراط وغير ذلك . وقد عمد حضرته في وضع هذا السفر الكبير الى أحدث ما كتبه علماء الغرب في هذا الباب والى ما جمعه من كتب العرب مراعياً في ذلك الأنسب لعاداتنا وللمحيط الذي نحن فيه ، فجاء كتابه ملآناً بالفوائد والملاحظات الطبية التي يهم المتزوجين وطلاّب الزواج ان يطلعوا عليها ، فيستفيدوا مما فيها من النصائح والارشادات التي كثيراً ما يتوقف عليها هناء الزوجين مادياً وأدبياً . والكتاب مزين برسوم كثيرة وهو مكتوب بعبارة سهلة منسجمة

روض الرياحين[٢] — أو الجزء الأول مما كتبه حضرة الأديب

(١) مطبعة الهلال عدد صفحاته ٥٢٣ وثمنه ١٥ غرشاً ويطلب من محل الانصاف في شارع الغورية بمصر والمكتبات الشهيرة (٢) مطبعة المقتطف والمقطم

ظاهر افندي الريس قبل الثلاثين . وهو مجموعة الرسائل التي نشرها في جريدة المقطم . ولما كانت هذه الرسائل تتناول مواضيع شتى من أدبٍ وسياسة وفكاهة واقتصاد ، فانها لم تفقد جدتها بفوات الحوادث التي كتبت بصددها . ولذلك يمكن القارىء ان يجد فيها لذة وفائدة لا سيما وان كاتبها الفاضل بعيد عن الدعوى يروي الحقائق كما يراها ليستيفد منها وليشاركه غيره في الفائدة . وهذه صفة من أجلّ صفات الكتّاب والمنشئين

تاريخ الصحافة العربية — أنجز حضرة الفاضل الفيكونت فيليب دي طرازي كتاب « تاريخ الصحافة العربيـة » ومثله للطبع على ورق صقيل بحجم كبير . وهو يبحث عن مجمل اخبار صحافتنا الشريفة وآدابها منذ ظهورها حتى الآن في العالم كله . ويشتمل ايضاً على حوادث كل جريدة أو مجلة أو نشرة موقوتة بلا استثناء واحدة منها مع رسوم اصحابها والمحررين فيها . وقد أضاف الى ذلك تراجم مشاهير الصحافيين حرصاً على صيانة آثارهم وتنويهاً بفضلهم وتخليداً لذكرهم في القرون اللاحقة . ولا شك ان مثل هذا العمل المجيد قد اقتضى من حضرة الكاتب عملاً شاقاً ، وجلداً كبيراً . فنحن نثني على همته كل الثناء ، ونتمنى لكتابه الرواج الكبير

الصحة والآداب[1] — كتاب وضعه الدكتور بول جود من أطباء البحرية الفرنساوية وعرّبه حضرة الأديب الفاضل فريد افندي يوسف

(١) طبع بمطبعة الاخبار ويطلب من مكتبة بدروس متاتيان بالظاهر

بزري . وقد عرف العلماء مزية هذا المؤلف فنقلوه الى لغات شتى وجعلوه بين ايدي الناشئة ليتعلموا منـه ما يجب عليهم لحفظ صحتهم وآدابهم فللمترجم الأديب الشكر الوافر



مواليد شهر فبراير (شباط)

يزعم الكثيرون ان لليوم والشهر اللذين يولد فيهما الانسان تأثيراً في أخلاقه وحياته . وها نحن ناشرون على سبيل الفكاهة شيئاً من ذلك عن شهر فبراير (شباط)

فالذين يولدون في :

١ منه ثورتيون يحبون الحرية وينزعون اليها

٢ « من عشاق الثوب العسكري ، تطربهم خفخفة الالقاب وصليل السيوف

٣ « سيئو الاخلاق ، محرومون من لذة المعيشة العائلية

٤ « يحبون التنقل في الاعمال ، ويوفّقون في الغالب الى وجودها

٥ « معسرون في شبابهم وعزوبتهم ويثرون بزواجهم

٦ « أفكارهم سامية ، ويميلون الى الاجتماعات

٧ « أخلاقهم سيئة ويحبون الانفراد

٨ « كبار العقول مفكرون ولهم بالمصائب أعظم درس ويميلون الى الاشغال الرياضية

٩ « ذوو رزانة وحزم ، بطيئو الحركة ، معتدلون في طلباتهم

١٠ « حسّاد كسالى ، يتمنون ولا ينالون

١١ « حمقاء يحبون الخصام سريعو الغضب سريعو الرضى

١٢ « سيئو الادارة معرضون دائماً الى خطر الفقر

١٣ منه	قساة القلوب ، متصلبو الرأي عديمو الحركة أمام مصائب الزمان

١٤ «	ذوو أمزجة حادة ، يتأثرون لأقلّ الأمور وينظرون لكل شيء بعين الاستغراب

١٥ «	يطرون الانتحار ويلجأون اليه متى تعسرت أمورهم

١٦ «	يميلون الى الاشتغال بالزراعة ، وأمامهم مستقبل حسن

١٧ «	طائشون تملكهم العادات الشريرة ولا ينجون منها الاَّ بصعوبة في أيام كهولتهم

١٨ «	سريعو الخاطر ، جريئون ويفوزون بالمناصب العسكرية

١٩ «	ذوو أفكار عالية وآراء صائبة وينالون الشرف والثروة

٢٠ «	لينو العريكة ذوو صدور رحبة يوفقون الى سعادة المعيشة العائلية

٢١ «	بطيئو الحركة يجلبون لأنفسهم الخسائر المالية

٢٢ «	ميالون الى الاشغال الادارية ويصلحون للمراكز السامية

٢٣ «	سعداء في حياتهم قانعون بما بلغوا اليه

٢٤ «	ضعفاء العقول متقلبو الرأي مع شيء من الحمق

٢٥ «	يُحيطهم الشقاء كيفما اتجهوا ولكنهم صبورون ويفوزون في النهاية

٢٦ «	يتزوجون من غير جنسهم طمعاً بالثروة ويعيشون بهناء

٢٧ «	أسفارهم محفوفة بالمخاطر

٢٨ «	مهددون بالخراب ويوفقون لتربية ابنائهم تربية صالحة فيسعدون بهم

ا . غ .



رأي في اللغة

قلنا كلمة في جزء سابق عن « حديث القمر » وهو الكتاب الذي وضعه حضرة الكاتب المجيد مصطفى افندي صادق الرافعي . وكان ان انتقد المؤلف احد الكتاب وآخذه ببعض ألفاظ قال انها من استعمال العامة . فنشر الرافعي رداً على ذلك نقتطف منه ما يأتي ، قال :

. . . كأننا لا نزالُ نحتاجُ في استعمال كلّ حرفٍ ووضع كل كلمة الى نصوص هؤلاء (أصحاب الصحاح واللسان والقاموس) وكأنّ هذه اللغة لا تجري على قواعد يمكن ان تنزل منزلة السنن الطبيعية في الحياة ، بحيث لا تأبى في عصرٍ من العصور أن يُضافَ اليها شيءٌ من المستحدثات الزمنية . والاَّ فكيف وضعها العرب اذن ، وكيف تبسطوا فيها حتى بلغت بهم ما بلغت من السعة ، وكيف جاء القرآن الكريم من ألفاظهم نفسها وأجراه فيما لم يستعملوه ولا لهم بهِ عهد ، وهو مُعجزة القوم ، وكيف فصحت الالفاظ المولَّدة وأسماء المستحدثات العلمية حتى ألحقت بمادة اللغة ؟ ؟

إنَّ القول بأن هذه فصيحة ، وهذه مولّدة قد مضى زمنه . فانما كان الباعث عليهِ قرب عهد الرُواة من فصحاء الأعراب في الصدر الأول ، ثم تقليد علماء اللغة من المتأخرين لأولئك الرواة تحقيقاً بشروط هذا العلم الذي يحملونهُ وبآدابه التاريخية

اذا كنّا في كلّ كلمةٍ نقول : نصَّ الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان ، ونغفل عما وراء ذلك مما تنصُّ عليهِ طبيعة اللغة من أوزانها وقواعدها وطُرُق الوضع والاستعمال فيها ، فما نحن بأهل هذه اللغة ولا بالقائمين عليها ، ولا هي لغة عصرنا ، انما هي لغة الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان

لستُ أتردّد في القول بأن سبب الضعف الذي طرأ على هذا اللسان انما هو في هذه العقول الضعيفة التي تقوم عليهِ أسوأ القيام ، لا بالنظر ولكن بالتقليد الأعمى ، فلا نزال نرجع بكل لفظة الى حدود البادية ؛ كأنَّ هذه البادية العربية هي جغرافية اللغة ، وانما يستقيم مثل هذا اذا كانت اللغة ميتة ليس فيها قوة النموّ كهذه العقول التي يغني عنها كلها كتابٌ واحد كلسان العرب

أبو السامي الرافعي